الاول الدرس الأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الاكمل على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين اللهم لا علم لنا الا ما علمتنا ولا سهل الا ما سهلته وانت تجعل الحزن اذا شئت سهلا فاجعل الحزن سهلا اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وفهما يا رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

.اما بعد .السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبارك الله يومي ويومكم واعمالي واعمالكم ونفعنا الله واياكم بهذا اللقاء بجاه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الشرفاء .مع اول درس من دروس مادة الاخلاق والتي اخترنا فيها كتابا مهما عظيما في هذا الباب .كتاب متوسط الحجم ان لم يكن صغيرا .ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل .كتاب مشهور معروف في اواسط طلبه العلم لاقى القبول لحسن سبك عباراته ولحسن صياغته ولا نفاسة محتواه .وهذا الكتاب المعنون بتذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم لصاحبه الامام العلامه القاضي بدر الدين بن جماعه الكناني الشافعي رحمه الله تعالى .والحقيقة ان الاخلاق لا يكون مادة او علما تدرس او يكون او يدرس في من الكتب انما الاخلاق في الاصل تؤخذ من العلماء والمشايخ تؤخذ من الاولياء اي الاخلاق يجب ان ترى معامله وسلوكا وهذا ما تربينا عليه .فالاخلاق في الحقيقه لم ناخذها من الكتب انما اخذناها من مشايخنا وعلمائنا فالاخلاق لما ترى في المعامله والسلوك يكون وقعها في القلب اشد .لذلك دائما يقولون لا تحدثني عن الاخلاق بل دعني ارى فيك الاخلاق ولكن لما غفل كثير من الناس عن مصاحبه اهل الله والاولياء الصالحين والعلماء العاملين الفوا مثل هذه الكتب كي يستأنس بها وكي يضعوا فيها اهم مبادئ الاداب والاخلاق للمتعلم وللعالم.

ونبدأ بقراءة مقدمة الكتاب .ودائما ما كان علماؤنا ومشايخنا يوصون بعدم اغفال واهمال وتجاوز مقدمات الكتب لما فيها من النفائس والفوائد والفرائد والنكت قد لا نجدها في بطون الكتب .فنقول وبالله التوفيق .يقول المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه في الدارين امين .بسم الله الرحمن الرحيم .الحمد لله البر الرحيم الواسع العليم ذو الفضل العظيم .وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد النبي الكريم المنزل عليه في الذكر الحكيم وانك لعلى خلق عظيم وعلى اله واصحابه الكرام جواره في دار النعيم .ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى كعادة سائر المؤلفين في كتبهم بالبسملة .ثم ثنى بالحمدلله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتداء بالكتاب العزيز، وامتثالا لحديث

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله .وفي رواية بالحمد لله فهو ابتر او اجذم او اقطع، وكل هذا بمعنى ناقص البركة .ولا يفوتنا ان نلاحظ ان مقدمة الكتاب فيها براعة استهلال وبراعة الاستهلال، اي ان يذكر المؤلف او الخطيب في طالعة كتابه او خطبته ما ينبئ عن المقصود .وقد اختار المؤلف آية جليلة عظيمة كافية، اي تكفي بان بأن تجعلنا نشعر بمحتوى هذا الكتاب وتتنبأ بمضمون هذا الكتاب وانه سيتحدث عن الاخلاق لما قال رضي الله عنه وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد النبي الكريم المنزل عليه في الذكر الحكيم وانك لعلى خلق عظيم.

ثم قال اما بعد فان من اهم ما يبادر به اللبيب شرخ شبابه ويتعب نفسه في تحصيله واكتسابه حسن الادب الذي شهد الشرع والعقل بفضله واتفقت الاراء والألسنة على شكر اهله .ان الاخلاق الحميدة والاداب الجليلة مصدر ونقطة اتفاق بين جميع العقلاء وبين جميع اهل الملل والنحل كلهم يتفقون على ان الاخلاق الجليلة شيء يحسنه العقل ويحسنه الشرع ايضا لاهل الدين .وان احق الناس بهذه الخصلة الجميلة واولاهم بحيازة هذه المرتبة الجليلة .اهل العلم الذين حلوا به ذروة المجد والثناء واحرزوا به قصبات السبق الى وراثة الانبياء لعلمهم بمكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وادابه وحسن سيرة الائمة الاطهار من اهل بيته واصحابه وبما كان عليه ائمة علماء السلف واقتدى بهديهم فيه مشايخ الخلف .كل الناس واجب عليهم ان يتحلوا بالاخلاق وان يتادبوا بالاداب الجليلة والادب الرفيع .ولكن قد يكون التحلي بالاخلاق الرفيعة اكد على اهل العلم .لماذا؟ لان العلماء ورثة الانبياء .ولان العلماء مصدر قدوة وتأسيس واتباع فلا بد ان يكونوا اهل ادب واخلاق حتى يتبعهم الناس في اقوالهم وافعالهم واحوالهم .ونحن لن نسرد كامل الكتاب ولكن سنكتفي باهم ما ورد فيه حتى لا نقع في التطويل .قال ابن سيرين كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم .كانوا يتعلمون الهدية اي كانوا يتعلمون الاخلاق .وقال الحسن ان كان الرجل لا يخرج في ادب يكسبه السنين ثم السنين .وقال بعضهم لابنه يا بني لئن تعلم بابا من الادب احب الي من ان تتعلم سبعين بابا من العلم .وهذا كلام يؤكد لنا قيمه الاخلاق والادب لطالب العلم .ودائما ما كنا نسمع مشايخنا يقولون لنا طالب العلم طائر ذو جناحين جناح العلم وجناح الادب.

وكانت من المقولات التي سمعناها كثيرا منذ صغرنا .اجعل علمك ملحا وادبك دقيقا .وكانوا ايضا يذكروننا بقول الامام عبد الرحمن بن القاسم اشهر واعلم تلاميذ الامام مالك كان يقول صحبت الامام مالكا عشرين سنة ثمانية عشر سنة تعلمت فيها الادب وسنتين تعلمت فيهما العلم ويا ليتها كانت كلها في الادب .والان سيذكر المؤلف سبب تأليف

الكتاب وهذا ما يذكر ايضا في مقدمة الكتب بعد البسملة والحمدله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .يذكر في .يذكر في العادة المؤلف اسمه ويذكر اسم كتابه والسبب الداعي الى تأليف الكتاب وابواب هذا الكتاب وهذا ما سنجده في مقدمة هذا الكتاب حيث قال .ولما بلغت رتبة الادب هذه المزية وكانت مدارك مفصلات خفية دعاني ما رأيت من احتياج الطلبة اليه وعسر تكرار توقيفهم عليه، اما لحياء فيمنعهم الحضور او لجفاء فيورث لهم النفور الى جمع هذا المختصر مذكرا للعالم ما جعل اليه ومنبها للطالب على ما يتعين عليه وما يشتركان فيه من الادب وما ينبغي سلوكه في مصاحبة الكتب، ثم ادب من يسكن المدارس منتهيا او طالبا .لانها مساكن طلبة العلم في هذه الازمنة غالبا. وجمعت ذلك مما اتفق في المسموعات او سمعته من المشايخ السادات .او مررت به في المطالعات .او استفدته في المذاكرات .وذكرته محذوف الاسانيد والادلة كي لا يطول على مطالعه او يمل .وقد جمعت فيه بحمد الله تعالى من تفاريق اداب هذه الابواب ما لم اره مجموعا في كتاب، وقدمت على ذلك بابا مختصرا في فضل العلم والعلماء على وجه التبرك والاقتداء .والان سيذكر الامام المؤلف ابواب هذا الكتاب حتى يجعل لقارئه تصورا عاما لمحتواه فقال وقد رتبته على خمسة ابواب تحيط بمقصود الكتاب.

الباب الاول في فضل العلم واهله وشرف العالم ونبله .الباب الثاني في اداب العالم في نفسه ومع طلبته ودرسه .الباب الثالث في ادب المتعلم في نفسه ومع شيخه ورفقته ودرسه .الباب الرابع في مصاحبة الكتب وما يتعلق بها من الادب .الباب الخامس في ادب سكنى المدارس وما يتعلق به من النفائس .وقد سميته تذكرة السامع والمتعلم في ادب العالم والمتعلم والله تعالى يوفقنا للعلم والعمل ويبلغنا من رضوانه نهاية الامل .وانتهى بهذا الكلام من مقدمته وانتقل الى الباب الاول وكما ذكر ان هذا الباب جعله تبركا في ذكر فضل العلم والعلماء .الباب الاول في فضل العلم والعلماء وفضل تعليمه وتعلمه قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات .قال ابن عباس العلماء فوق المؤمنين بسبع مائة درجة .ما بين الدرجتين مائة عام .سبحان الله .انظروا الى فضل طلب العلم والى فضل انتسابك الى اهل العلم .وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم .بدأ سبحانه بنفسه وثنى بملائكته وثلث باهل العلم، وكفاهم ذلك شرفا وفضلا وجلالة ونبلا، وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم .تكرار او تعداد الايات التي تذكر فضل العلم وتحذرنا وتحثنا على العلم لدليل واضح جلي على منزلة التعلم وعلى منزلة العلم وعلى ما يريده ربنا سبحانه وتعالى منا من ان نكون من اهل العلم .لذلك دائما ما نسمع مشايخنا شيخنا يذكروننا بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعالم واحد اشد على الشيطان من الف عابد وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء

وقال اولئك هم خير البريه الى قوله ذلك لمن خشي ربه فاقتضت الايتان ان العلماء هم الذين يخشون الله تعالى وان الذين يخشون الله تعالى هم خير البريه فينتج ان العلماء هم خير البريه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين .الان بدا يذكر بعض الاحاديث في فضل العلم واهله وهذا الحديث حديث مهم في هذا الباب وهو قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا .اي اذا اردت ان تعرف هل انت من اهل الخير وهل انت منتسب وهل انت داخل في دائرتي الخيريه فانظر هل انت منتسب لاهل العلم او لا هل انت طالب للعلم او لا هل انت حريص على طلب العلم او لا؟ فقال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ما معنى يفقهه في الدين اي يوفقه الى طلب العلم ويوفقه الى مجالسة العلماء ويوفقه الى المنهج الصحيح كي يتفقه ويتعلم في الدين لان العلم علم مكتسب وليس علما موهوبا .طلب العلم الشرعي .الانسان لا ينام ويصبح وهو عالم لا .هذا العلم لا بد له من مجاهدة ولا بد له من تفقه ولا بد له من تعلم لذلك قال صلى الله عليه وسلم العلم بالتعلم، وعنه صلى الله عليه وسلم العلماء ورثه الانبياء وكفى بهذا الوصف شرفا لان العلماء مصدر قدوه كما كان من قبلهم الانبياء والمرسلون عليهم من الله افضل الصلاه والتسليم.

مصدر قدوه ومصدر اسوه .وكما ان للانبياء والمرسلين رساله يوجهونها ويبلغون بها الى الناس فان لاهل العلم رساله يبلغونها الى الناس وهي رساله الانبياء والمرسلين من قبلهم وحسبك بهذه الدرجه مجدا وفخرا وبهذه الرتبة شرفا وذكرا .فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة .وعنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر عنده رجلان احدهما عابد والاخر عالم فقال فضل العالم على العابد كفضل على ادناكم .وعنه صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك به طريق من طرق الجنه وان الملائكه لتضع اجنحتها لطالب العلم لرضا الله عنه وان العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الارض حتى الحيتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليله البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثه الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر .واعلم انه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له وتضع له اجنحتها .وانه لينافس في دعاء الرجل الصالح او من يظن صلاحه فكيف بدعاء الملائكة؟ طبعا قوله فكيف بدعاء الملائكة هذا على القول بان الملائكة افضل يعني من الصالحين من الامة ولكن المشهور بين اهل العلم ان الصالحين العالمين العاملين بعلمهم .افضل من الملائكة .ونتحدث هنا عن عوام الملائكة لا رؤساء الملائكة .وقد اختلف في معنى وضع

اجنحتها لما قال صلى الله عليه وسلم ان الملائكه لتضع اجنحتها لطالب لطالب العلم .ما معنى تضع اجنحتها؟ فقيل التواضع له، وقيل النزول عنده والحضور معه اي مجلس العلم تحضر فيه الملائكة، وقيل التوقير والتعظيم له، وقيل معناه تحمله عليها فتعينه على بلوغ مقاصده.

واما الهام الحيوانات بالاستغفار لهم فقيل لانها خلقت لمصالح العباد ومنافعهم والعلماء هم الذين يبينون ما يحل منها وما يحرم ويوصون بالاحسان اليها ونفي الضرر عنها وعنه صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيامه مداد العلماء ودم الشهداء .وعنه صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين ولا فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولا زال قال المصنف .يردد .ويعدد لنا الآيات والأحاديث التي تحدثنا عن فضل العلم فقال .وعنه صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين .وفي حديث يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء .ونختم بقول سيدنا علي رضي الله عنه كفى بالعلم شرفا ان يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه وكفى بالجهل ذما ان يتبرأ منه من هو فيه .يعني الانسان يفتخر بانه عالم وان لم يكن من اهل العلم ويكفي لهذا شرفا .لماذا؟ لان العلم شيء حسن متفق عليه بين جميع الناس ويكفي ان الجاهل وان كان جاهلا لا يحب ان يوصف بالجهل وكفى بالجهل ذما ان يتبرا منه من هو فيه .وقال بعض السلف خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل .ونكتفي بهذا القدر في هذا الباب .وسينتقل المصنف رحمه الله الى فصل جديد يتحدث فيه عن من هم العلماء الذين امتدحهم الله سبحانه وتعالى وامتدحهم نبينا صلى الله عليه وسلم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمه الله تعالى وبركاته.